

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 16 (2012) : 222 - 239
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري
من القرن 4هـ / 10م إلى القرن 11هـ /17م

يمينة بن اصغير حاضري
قسم العلوم الإنسانية المركز الجامعي غرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

مقدمة

إن تطور وازدهار أي تجمع سكاني (قصر، قرية، مدينة...) مرتبط بمدى قوة نشاطها الاقتصادي هذا الأخير الذي يرتبط بدوره بجوانب أخرى سياسية وثقافية واجتماعية...الخ.

وتعتبر الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري في تلك الفترة من أهم النشاطات الاقتصادية المميزة لها فالمتتبع لهذه الأخيرة يمكنه معرفة الحركة اليومية والسنوية لسكانها ومدى ارتباطهم بما يدور حولهم من أحداث، إذ أن ازدهار أو ضعف التجارة مرتبط بمدى قوة قصورها وخبرة سكانها ومقدرتهم في التعامل مع التجار الأجانب.

فعلى طول هذه المنطقة امتدت مجموعة من المراكز التجارية التي تفاوتت أهميتها، والتي هي عبارة عن تجمعات سكانية تعرف بالقصور، وقد أجمع معظم المؤرخين على أن هذه الأخيرة من أهم النقاط التجارية منذ الفترات القديمة، إذ كانت تربط أقصى الجنوب وبلاد السودان بالشرق الجزائري و البحر الأبيض المتوسط.(1) (خريطة01)

ونظرا لهذه الأهمية التجارية عرفت المنطقة إقبالا كبيرا من طرف التجار التونسيين والمغاربة والقسنطنيين.(2)

فالقصور الصحراوية بصفة عامة كان لها منذ القديم دورا تجاريا مهما، إذ أن القوافل التجارية تجتاز العروق والكتل الجبلية لتتوقف في هذه القصور للبيع والشراء والتزود بما تحتاجه من زاد، إذ تقع في نقاط وصول وانطلاق هذه القوافل فتشكل فيما بينها خط سير يعرف في

العديد من المصادر التاريخية بإسم طريق القصور أو طريق الواحات، أو طريق الذهب، وتختلف المسافة بين كل نقطة وصول من مكان إلى آخر فمتوسط الرحلة يحدد بحوالي خمسون كلم، في حين تصل المراحل الكبرى بين هذه المراكز إلى عشرات الأيام من السير مما يدفع بالتجار إلى التزود بكل متطلبات الرحلة ثلاث أو أربع مرات فعلى سبيل المثال تستغرق قافلة تنطلق من قابس باتجاه ورقلة خمسة عشرة يوما، ومن تقرت إلى ورقلة مرورا بنقوسة من أربعة إلى خمسة أيام وحوالي أربعة أشهر لعبور الصحراء، ونتيجة لأهمية هذه الحركة التجارية بالمنطقة وما جاورها أصبح من الضروري اتخاذ تنظيم محكم لوضع نقاط الانطلاق وربطها بمراكز التموين(3)، وتوفير ضروريات الحياة التجارية من نزل ومخازن ومراسلات منضمة مع أهم النقاط التجارية(4)، وبمجيء الهلاليين(5) واستقرارهم بالمنطقة بدؤوا بمزاولة هذه التجارة حوالي سنة **580**هـ/**1184**م، فكانوا يقومون بنقل البضائع في رحلاتهم ومرافقة القوافل للإرشاد أو الحراسة. (6)

وقد أشار "مورو (**Mauroy**)" في حديثه عن التجارة بالصحراء إلى أن مسيري التجارة الصحراوية هم سكان المدن البربرية والسودانية في حين كان البدو الرحل هم من يقوم بنقل هذه البضائع ،فيتفاهم رؤساء القوافل مع قادة القبائل الجنوبية لتزويدهم بأذلاء وحراس مقابل منح تختلف باختلاف أهمية الحمولة، فكانت قبائل بأكملها تعيش مما تذره عليها حماية وإرشاد القوافل التجارية وبمرور الزمن أصبح لهذه القبائل ممتلكات بالمنطقة (بيوت غابات النخيل ، ومخازن...). (7)

ومع الوقت اكتسبت التجارة الصحراوية قوانين متعارف عليها تخضع للظروف البيئية والحالة الأمنية للطرق، كما تخضع أيضا لثقل الحمولة وقيمتها، فتشكل بذلك مجتمع تجاري على أساس ترابط عجيب نظمت فيه طرق القوافل وتوزيع التجار كما حفرت الآبار على طول الطرق التجارية، فأصبح انتقال البضائع في الصحراء بصفة عامة وهذه المنطقة بصفة خاصة يتم بطريقتين مشهورتين أولاهما هي القافلة التي تضم مجموعة متعددة من التجار الذين لا تربط بينهم سوى مصلحة الطريقة والتي لابد لها من دليل أو أكثر لبلوغ غايتها، وثانيهما هي النجع أو القبيلة السيارة التي تنتقل بكاملها، ولذلك فهي أبطأ من الأولى ولكنها أضمن بالنسبة للتجار. (8)

وتعد التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية أحد أهم النشاطات الاقتصادية التي اعتمدت عليها المنطقة حتى نهاية القرن 10هـ/16م عندما تم اكتشاف الطرق البحرية الجديدة(9). وليتسنى لنا تتبع و دراسة هذه الحركة التجارية بالتفصيل سنتعرض لكل نوع على حدى.

1-الحركة التجارية الداخلية:

يتم انتقال البضائع بالجنوب الشرقي من الشمال إلى الجنوب والعكس(10) عن طريق القبائل الرحل المعروفة بالنجع كما سبق الذكر، وتتقيد هذه القبائل بقانون سنوي نشأ نتيجة الظروف الطبيعية إذ تنتقل القوافل باتجاه الصحراء فيصلوا وقت جني التمور أي في حوالي منتصف شهر أكتوبر فتستبدل بضائعها من قمح(11) وصوف خام، وزيوت، وأغنام، وزبده بالتمور، والنسيج الصوفي المصنوع من طرف النسوة وبانتهاء عملية المقايضة تخزن التمور في المخازن لتبتعد القبائل بعد ذلك عن القصور وتقود قطعانها نحو المراعي فتقضي فصل الشتاء والربيع بالصحراء لتوفر الماء والكلأ فلا تبقى في مكان سوى ثلاثة أو أربعة أيام لتنتقل إلى غيره ومع نهاية الربيع تمر مرة أخرى بالقصور الصحراوية لتحمل جمالها بالتمور، والنسيج لتتجه نحو الشمال في الوقت الذي يقل فيه الكلأ بالصحراء، في حين تكون المناطق الشمالية في وقت حصاد القمح فتقضي هذه القوافل فصل الصيف في حركة تجارية نشيطة تستبدل خلالها حمولات التمر والنسيج بالحبوب والصوف الخام والغنم والزبدة ومع نهاية الصيف تستعد القافلة من جديد للرحيل باتجاه الصحراء فتحمل الجمال وتطوى الخيام ويبدأ السير ككل مرة.(12)

ومن أشهر القبائل التي كانت تقوم بهذه العملية هي قبيلة أولاد نايل التي تتكون من خمسة فروع أشهرها أولا مولات ، والطيبات ، وأعراب غرابة ، وأولاد سايح، وأولاد سعيد بن عمر.(13)

ويذكر "كارات (Carette)" أن التجارة عبر الصحراء عرفت نوعا من المنافسة بين القبائل العربية والتوارق، لهذا لا يقومون بها من أولها إلى آخرها بل عن طريق التناوب فيما بينهم فكل منهما تحمل البضائع إلى حدود أراضيها لتبيعها إلى جيرانها، فكان عرب الصحراء هم من يقوم بنقل البضائع باتجاه الشمال في حين يقوم التوارق بالتغلغل نحو بلاد السودان.(14)

فكانت القبائل الصحراوية بالجنوب الشرقي تتحرك باتجاه قسنطينة بكل سهولة لكون المنطقة تابعة لبايلك الشرق في الوقت الذي يصعب عليها التحرك باتجاه التيطري إلا بإذن من الحاكم العثماني، إذ قليلا ما يسمح لهم بالتغلغل في هذه الأراضي باستثناء أولاد مولات الذين كانوا يمولون المنطقة تجاريا وذلك بعد دفع ضريبة للأتراك تقدر بحسب حمولة الجمل تسمى العسة.(15) (خريطة01)

كما كانت هذه القبائل أثناء تنقلها تعمل على كسب رضى حكام القصور الصحراوية التي تمر بها بدفع جزء من بضاعتها.(16)

ونظرا للأهمية الاقتصادية التي كانت تلعبها هذه القصور كنقطة عبور وكمراكز تجارية مهمة استطاع سكانها مع الزمن أن يتخلوا عن طريقة المقايضة ويستعملوا النقود في معاملاتهم سواء العملة الجزائرية أو الريال التونسي المعروف بالطرباقة ذات الوزن المتغير أو الدورو الإسباني.(17)

بالإضافة إلى العملة المحلية التي وصفها العياشي في رحلته بقوله: "...أما دراهمهم فقراريط صغيرة اثنان و ثلاثون منها في ربع ريالة...".(18)

كما أشار "جي" (jus) إلى وجود عملة من النحاس الرفيع كان يصنعها رجل يهودي جاء من تونس يسمى بن بريكة أصبحت تعرف باسمه (سكة بن بريكة)(19)

فكانت القبائل التجارية تتحدى مخاطر الطريق من قطاع الطرق، ونقص المياه، والزوابع الرملية لكثرة الأرباح التي تجنيها من هذه التجارة فالخمسمائة عبد الذين يتم جلبهم كل سنة من بلاد السودان إلى تقرت كانت تشترى بتقرت بمبلغ مائة وخمسون إلى مائتين فرنك للعبد الواحد ثم يعاد بيعه في المناطق التلية بأربعة مائة إلى خمسة مائة فرنك، كما أن حمولة جمل من التمور قيمتها خمسة عشر فرنك بتقرت تستبدل على الحدود التلية مقابل أربع حمولات من القمح ليباع من جديد للبدو الرحل بأربعمائة فرنك.(20)

ومع هذه الحركة النشيطة لهذا النوع من التجارة كان لابد من وجود أسواق تستوعب وتوزع هذه البضائع بطريقة تجارية منظمة تسمح لها بأن تكون مركزا تجاريا مهما يقصده كل التجار.

فأسواق الزاب، ووادي سوف، وتقرت وتماسين، وورقلة، وغرداية ... من أهم الأسواق بالجنوب الشرقي تقصدها القبائل من مختلف الأرجاء ومن أهمها قبائل جبال عمور، وقبائل الشعانبة التي تعتبر همزة وصل مع القبائل التارقية.[21]

فكان تجار هذه القبائل يدفعون ضريبة مقابل عرض سلعهم بهذه الأسواق تعرف بحق السوق وهي مضبوطة حسب نوعية البضاعة وقيمتها فعلى سبيل المثال نجد في تقرت بضاعة بقيمة ألف نخلة تدفع عليها ضريبة قيمتها أربعون حايك منسوج في حين تقل بتماسين بأربعة حياك أي بدفع ستة وثلاثون حايك.[22]

وهذا الفارق بالدفع ما هو إلا نوع من التنافس التجاري بين أسواق هذه القصور، إذ تحاول بذلك جلب القبائل لدخول أسواقها بتخفيض قيمة حق السوق.

وتعرف بالمنطقة الشرقية وصحرائها نوعان من الأسواق أسواق محلية تقصدها مختلف القبائل في أيام معينة من الأسبوع يأتيها أقرب الناس، وأسواق جهوية أشهرها سوق تقرت الذي كان يقام في ساحة أمام الجامع الكبير (سوق صوفة)، وسوق ورقلة، وسوق أولاد عبد النور، وسوق الحراكته، وسوق السكنية، وسوق التلاغمة.

أما المعرض السنوي للمنطقة فقد كان يقام بوادي العثمانية تحت رئاسة شيخ العرب إذ تمتلئ هذه الأسواق بالمنتوجات والمصنوعات المحلية المختلفة والمواد المستوردة التي سيرد ذكرها عند التطرق إلى التجارة الخارجية.[23]

والملاحظ في الأسواق الجنوبية الشرقية كما يشير "مورو" (**Mauroy**) أنها لا تعتمد في تزويدها بالبضائع على المناطق التلية بقدر ما تعتمد في ذلك على البضائع المستوردة من تونس وبلاد السودان.

ومنه ندرك مدى أهمية هذه المراكز التجارية لما كانت توفره للقصور المجاورة بما تحتاجه من بضائع دون عناء.[24]

2-الحركة التجارية الخارجية:

ظلت منطقة الزاب، ومنطقة وادي سوف، ومنطقة وادي ميزاب، ومنطقة وادي ريغ (تقرت، تماسين...) ومنطقة وادي مية (ورقلة، نقوسة...) محورا واحد ومركزا رئيسيا لتجارة بلاد السودان[25]، ومحطة قارة لطريق الحج ومنطلقا سهلا باتجاه تونس وطريقا طبيعيا نحو

المناطق التلية بالشمال.[26]

والملاحظ أنه بالرغم من الأهمية التجارية التي إكتسبتها المنطقة إلا أن الكتابات التاريخية في هذا الجانب قليلة إذ لا يوجد إحصائيات دقيقة تساعد الباحث في تتبع مراحل تطور وضعف هذه التجارة بإستثناء بعض الكتابات الأجنبية.

وبما أن تونس من أقرب الأسواق إلى المنطقة أصبح التجار الصحراويون يفضلون التوجه إليها لبيع منتجاتهم وما يصلهم من التل وشراء السلع التونسية، وبعض المواد المستوردة عن طريق البحر فوجد في الصحراء الجزائرية مراكز أساسية تنطلق منها القوافل وتعود إليها أهمها يقع بالجنوب الشرقي كمدينة الوادي، وتقرت، وورقلة، ولهذا كان من الضروري تنظيم هذه الحركة تنظيما دقيقا بحيث أنه بالإمكان العثور يوميا على قافلة ذهابا وإيابا، ومن بين الطرق الرئيسية الأربعة إلى تونس نجد طريق نفطة[27] وغدامس[28] الذي ينطلق من تقرت ليتجه نحو الشمال فيمر بمحطة الفيض[29] أين ينضم إليها تجار بسكرة لتعود القافلة نحو كوينين أين تأخذ اتجاهين رئيسيين إحداهما شمالا باتجاه مدينة نفطة مباشرة، وثانيهما نحو الجنوب باتجاه سوق غدامس مرورا بمحلة البئر الجديد، وتستغرق المسافة إلى نفطة مدة خمسة أيام تنتشر على طولها العديد من الآبار والعمران قل ما نجدها في المسافة المتبقية في اتجاه غدامس التي تمتاز بكثرة رمالها وقلة معالمها وطمس آبارها[30]. (خريطة02)

وقد عرف هذا الطريق قديما بطريق الواحات أو القصور لكثرة ما يمر بهاومن أهم السلع التي يتم تسويقها من منطقة الجنوب الشرقي التمور بمختلف أنواعها، والأقمشة الصوفية من النوع الجيد، والمضلات السعفية بالإضافة إلى ما يتم جلبه من المناطق التلية كالحبوب، والزيوت، والمواد العطرية، في حين يستورد من تونس العطريات والأقمشة الحريرية، ومواد الزينة، والمناديل التونسية، والأحزمة، والقطن الأوروبي، والحياك، والأسلحة، والأقمشة القطنية[31].

أما التجارة بين الجنوب الشرقي الجزائري والمغرب الأقصى فإنها تكتسي صبغة دينية لارتباطها بقوافل الحجاج، فالطريق من المغرب الأقصى إلى المنطقة هو نفس الطريق الذي اتبعه العياشي في رحلته، والذي جاء ذكره في كتابه ماء الموائد (خريطة 03).

وهذا الطريق أكثر صعوبة من الجهة الشرقية (تونس) نتيجة طبيعته والقوانين الصارمة

التي تحكمه والتي ورد ذكرها في رحلة العياشي ،ويصحب الحجاج في رحلتهم بعض التجار الذين يقومون بعملية البيع والشراء كما أن الحجاج أنفسهم يقومون بعملية التجارة في طريقهم إلى الحج(32).

ولكن هذا لم يمنع من وجود قافلة تغلب عليها صفة التجارة تأتي من تاسي (tassey) وكوكورتسوف (kokortsov)(33) تسمى قبيلة المملح تتكون من مجموعة من الجمال تصل إلى تونس كل عام ثلاثة أسابيع قبل حلول شهر رمضان يحملون معهم المصنوعات المغربية من نحاس وأكياس الجلود واللون القرمزي، والأسلحة، والحديد، والأنسجة القطنية والطفل(34)، والقلنسوات الحمراء، ليشتروا من تونس وتقرت وورقلة منتجاتهم، ومع نهاية الحج يحملون معهم البضائع المتواجدة بالحجاز كالمنتجات الهندية، والحرير، وبمرورهم بتونس يشترون منتجاتها من الشاشية الحمراء وأغطية الجريد وأحزمة جربة والبرانس الدقيقة الصنع، وزرابي القيروان وتبغ ودواب جربة، والقماش الحريري.(35) (خريطة 04)

ولا تقف الأهمية التجارية للمنطقة على تجارة هذه السلع بل تتعداها إلى نعمة تجارة الذهب التي عرفتها المنطقة منذ أقدم العصور، إذ يشير "غان بوتي" (R.Pottier) إلى أن القوافل التجارية التي كانت تسافر باتجاه بلاد السودان في العهد الروماني لجلب العبيد والذهب تقوم بحمايتها حاميات رومانية(36)، ولكن هذا يحتاج إلى أدلة مادية خاصة أنه ليس من السهل على أي عنصر روماني التغلغل في الصحراء التي أصبحت مع الوقت مكانا لفرار القبائل البربرية الفارة من بطشهم أو الثائرة في وجوههم.

أما بعد دخول الإسلام إلى المنطقة فان هذه التجارة تقوم بها قوافل تسيرها وتحميها قبائل مختصة في هذا الميدان أشهرها التوارق ، والشعانبة ، والخنافسة.(37)

وبتجارة الذهب فتح الباب للمتاجرة في مواد أخرى أهمها الملح الذي كان يجلب من مناطق مختلفة مثل أوليل (Aulil)، وتاكازا (Tagaza)، وتاودني (Taoudein) بالإضافة إلى تجارة التمور التي اشتهرت بها كل من توات ووادي ريغ والزيبان.(38)

وبالقارة الإفريقية ثلاث مناطق منتجة للذهب هي المناطق الممتد من نهر النيل والبحر الأحمر وبلاد النوبة وساحل إفريقيا الشرقية(39) فتطور المماليك الإفريقية مثل بامبوك(40) بوري وغانة(41) مرتبط ارتباطا كبيرا بتجارة الذهب التي كان للقوافل العربية فضل كبير في

ازدهارها بتغلغلهم في بلاد السودان مع بداية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي مستعملين بذلك الجمال والحمير لمعرفتهم بمدى تحملها للظروف الطبيعية القاسية، إذ يشير "موريس لومبار" إلى أن إمكانيات شمال إفريقيا لم تكن مستغلة إلا بمجيء الإسلام، إذ تتحول إلى حقيقة ملموسة بانفتاح عالم البربر على بلاد السودان، فقد كانت القوافل العربية تسير في هذا الاتجاه بغرض نشر الدين الإسلامي في هذه البقاع البعيدة ففتحت بذلك الباب لأهم تجارة إذ سيتدفق الذهب والعبيد باتجاه البحر الأبيض المتوسط ويصبح مصدرا تجاريا قويا كما سيشكل العبيد يد عاملة جد مهمة ويشاطره الرأي "جون جاك" لما للمسلمين من دور في هذا الطريق.(42)

وتعتبر غانة بالنسبة لرحالة العرب من أهم المدن الممونة للذهب منذ القرن **9ه/13م** لهذا عمل ملك غانا على الاستفادة من الوضع ففرض ضريبة تقدر بدينار عن كل حمار محمل بالملح يدخل مملكته ودينارين عن الحمار الذي يخرج وضريبة عن كل حمولة نحاس ونفس الأمر بالنسبة للمواد الأخرى.(43)

ومن أهم الطرق باتجاه بلاد السودان الطريق الذي ذكرناه سابقا والذي يصل حتى غدامس ومنه ترحل القافلة إلى غاط(44) بالسير مدة عشرون يوما في طريق تقل فيه المياه، بعد ذلك تأخذ القافلة اتجاهين إحداهما مستقيم يؤدي مباشرة إلى تمبكتو بعد مسيرة خمسة وأربعون يوم وثانيهما يتجه إلى كانو(45)، وفي هذه المناطق يتم بيع البضائع التي تجلب من الوادي وتقرت وورقلة وغرداية كالتمور، والأسلحة، والسيوف فكانت البندقية الواحدة تباع في بلاد السودان بواحد وعشرون فرنك بالإضافة إلى بعض المنتجات الأخرى كالقمح، والأغنام، والزبده والبقول، والزيت، وريش النعام، وبعض المصنوعات الأوروبية المستوردة، كمواد الزينة والحرير، ونسيج البرانس، والمرجان، والمناديل الحريرية، والشواشي الحمراء، والأقمشة الصوفية، والبارود في حين يتم استيراد كل من التبر، وأنياب الفيلة، والقماش الأزرق، والبخور السوداني، والعطور الغالية، وجلد الجاموس، والصمغ السوداني، والحشيش، والزبد والكورو(46)، والعبيد.(47) (خريطة **06**)

وتكمن أهمية هذه البضائع فيما كانت تذره من أرباح، فتقرت وحدها تستورد سنويا خمسمائة عبدا يصل ثمن الواحد منها في الأسواق الإفريقية ما بين مائة وخمسون ومائتين فرنك وبمجرد ما يدخل الواحات الجزائرية يقفز هذا المبلغ إلى ما بين أربعمائة وخمسمائة فرنك.(48)

ونظرا لأهمية طريق الذهب عرفت تجارة الذهب نوعا من المنافسة من طرف الأوروبيين لما كانت تذره من أرباح وقوة اقتصادية على شمال إفريقيا ففي القرن 8هـ/ 14م،و القرن 9هـ/15م قام الجنوبيين بممارسة هذه التجارة عن طريق القوافل التي تمر بالصحراء الغربية كما قام الديبيون ثم البرتغاليون مع بداية القرن 10هـ/16م بالسيطرة على تجارة الذهب عن طريق البحر وبهذا تم تحويل الطرق التجارية.(49)

فكان من نتائج هذا التحويل أن فقدت القصور الصحراوية بالجنوب الشرقي الجزائري أهميتها الاقتصادية خاصة مع نهاية القرن 11هـ/17م بعد أن عمت الفوضى بلاد السودان نتيجة انهيار مملكة الصنغهاي عام 1531م على يد السعديين في الوقت الذي اشتد فيه التنافس بين البدو والتوارق أحد مسيري وحامي هذه التجارة، زيادة إلى التنافس الذي كان بين الحكام وانشغالهم بالأمور العسكرية على حساب التنظيم الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة. كل هذه العوامل ساعدت على الإسراع في تحويل ما تبقى من تجارة الذهب عن المنطقة إلى إقليم فزان وحوض وادي النيل.(50)

الخلاصة:

إن ما يمكن استنتاجه في الأخير هو الفضل الكبير لهذه التجارة في تموين منطقة الجنوب الشرقي الجزائري بما يحتاجه من بضائع خاصة من تونس، إذ أن علاقة هذه القصور بتونس أكثر قوة من المناطق التلية لقربها وسهولة مسالكها.

كما ساهمت هذه الحركة وبشكل فعال في استمرار وتطور هذه القصور لما قدمته لها من أهمية اقتصادية كان لها أثر كبير على حياة سكانها لتصبح مع الوقت مراكز تجارية تقصدها القوافل التجارية للبيع والشراء والراحة والتزود بما تحتاجه لإكمال طريقها نحو مراكز أخرى فكان لزاما على هذه القصور أن تتأقلم مع الظروف التي هيأت لها فنجد الأسواق الكبرى خارج الأسوار، كما أن الباب المفتوح على هذه الأسواق يؤدي مباشرة إلى المسجد الجامع وذلك حفاظا على خصوصية القصر فلا يتمكن أي غريب من التغلغل بداخله.

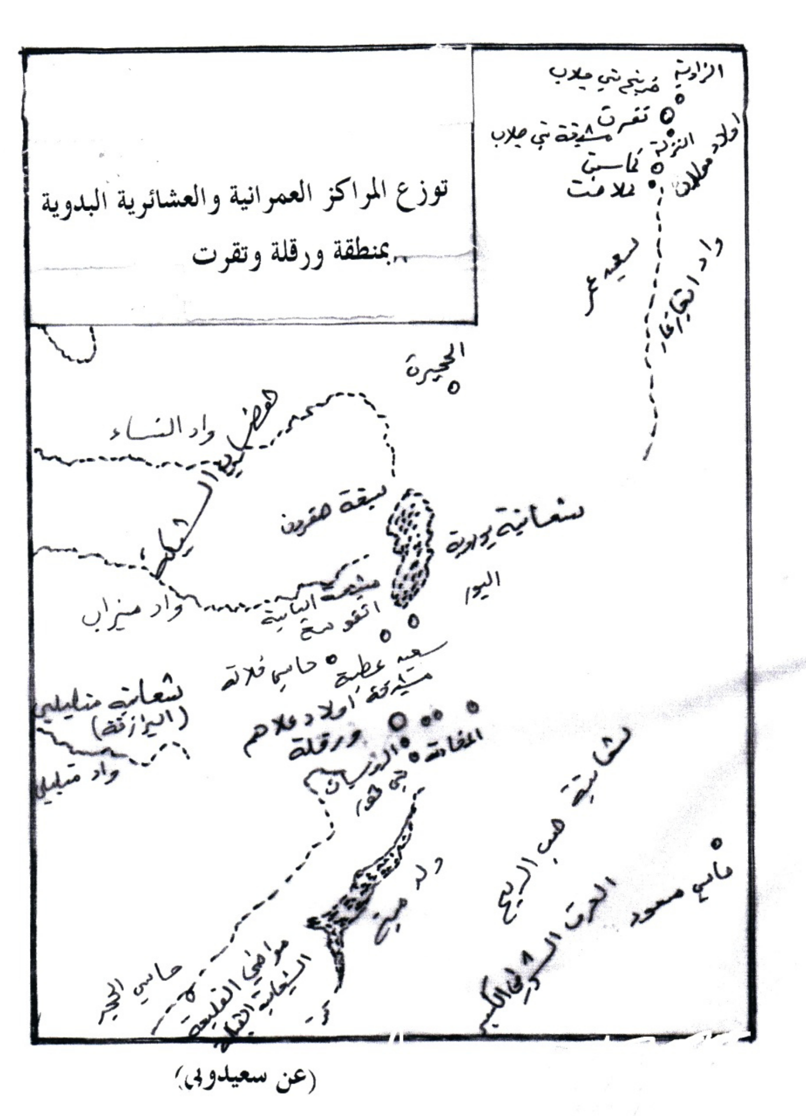
وبالرغم من هذه الأهمية الاقتصادية لهذه القصور فإنه لا يوجد أي أدلة مادية على وجود فنادق أو وكالات تجارية لإقامة القوافل، وربما يعود هذا إلى كرم وحسن الضيافة التي وصفت بها هذه الشعوب كما جاء على لسان العياشي بحيث يتم استضافة خاصة قوافل

الحجاج من طرف سكان القصور.[51]

ولم تقتصر هذه الأهمية على سكان القصر فقط بل كانت مصدر رزق للقبائل الصحراوية التي كانت تقوم بحماية وإرشاد القوافل، وقد كان بإمكان هذه التجارة أن تلعب دورا أكبر لو وجدت نوعا من التنظيم والحماية والاهتمام من طرف الحكام، وخاصة في الفترة العثمانية إذ أن الفوضى والنزاعات السياسية أثرت سلبا عليها.

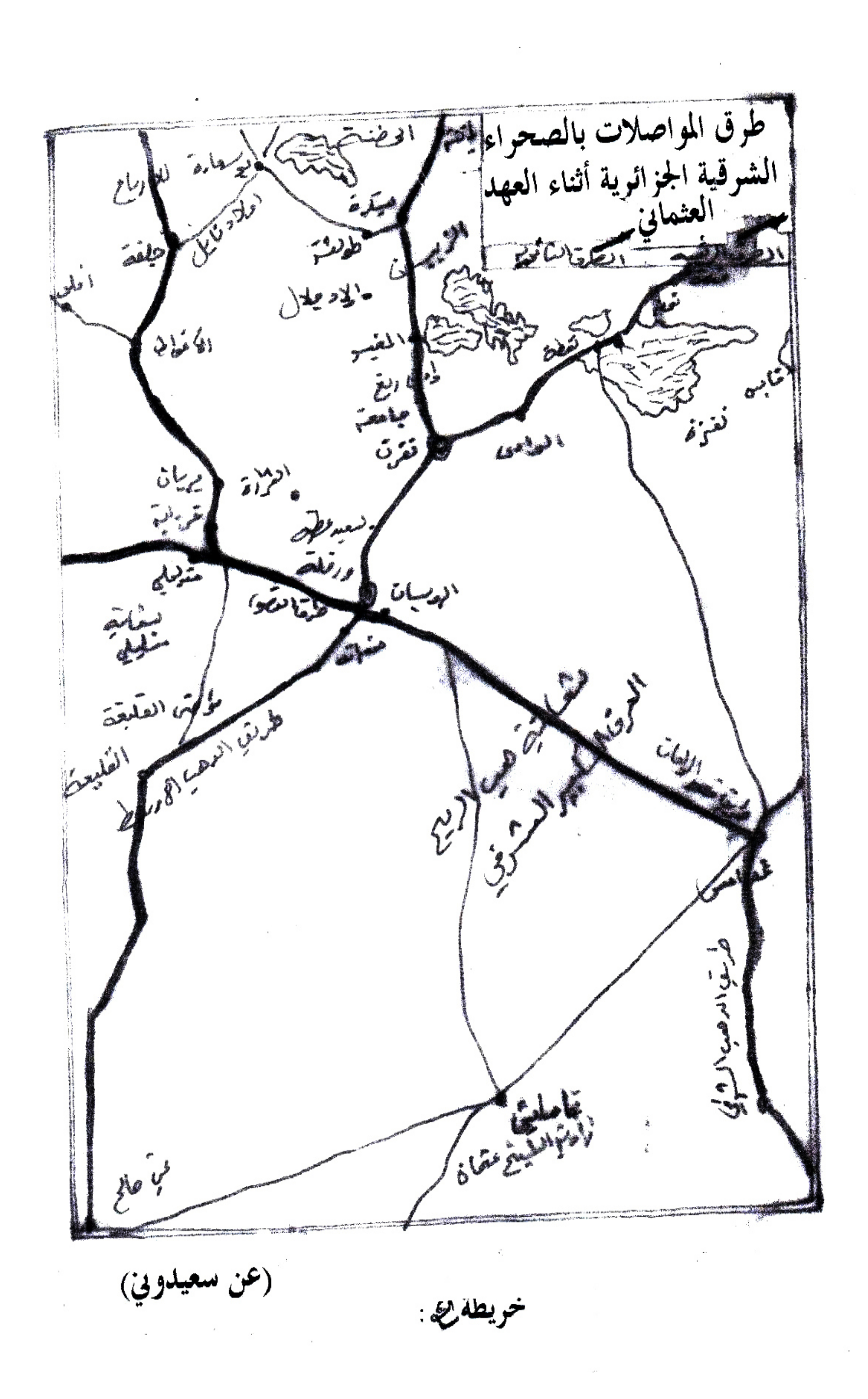
ونظرا للعلاقة الوطيدة بين هذه القصور والطرق التجارية بالجنوب فإنه باكتشاف الطرق الجديدة في القرن 10هـ/16م بدأت هذه القصور تفقد أهميتها تدريجيا لتتحول البقية الباقية من تجارة السودان عن المنطقة إلى إقليم فزان وحوض وادي النيل كما سبق الذكر حتى أنه مع نهاية القرن 12هـ/18م لم يعد يعبر المنطقة سوى مجموعة من الجمال المتوجهة إلى قسنطينة هي في حقيقة الأمر جزء من القافلة التي تتفرع في غدامس إلى كل من مدينتي تونس وطرابلس.[52]

ملاحق:



(عن سعيدوني)

خريطة 1:

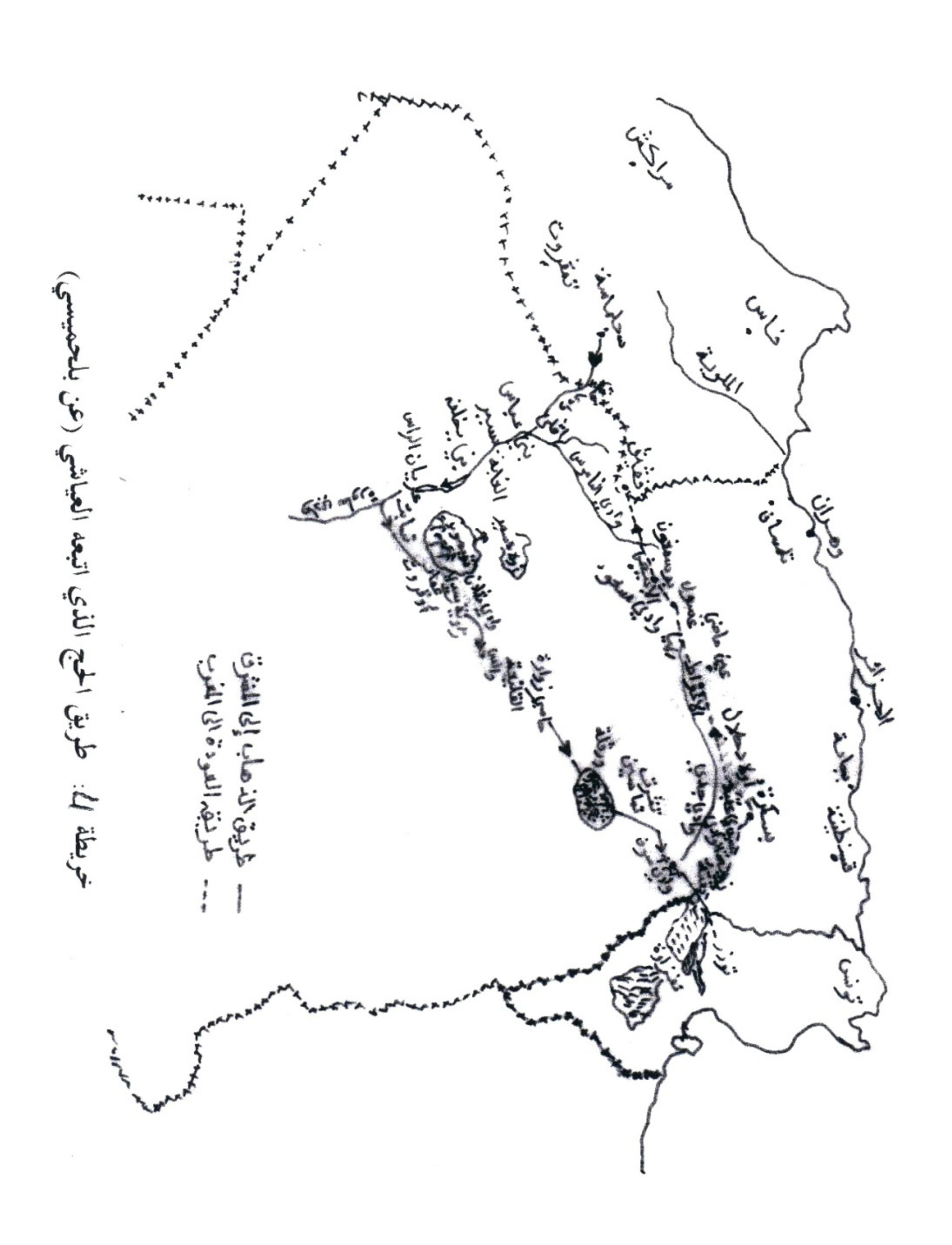


(عن سعيدوني)

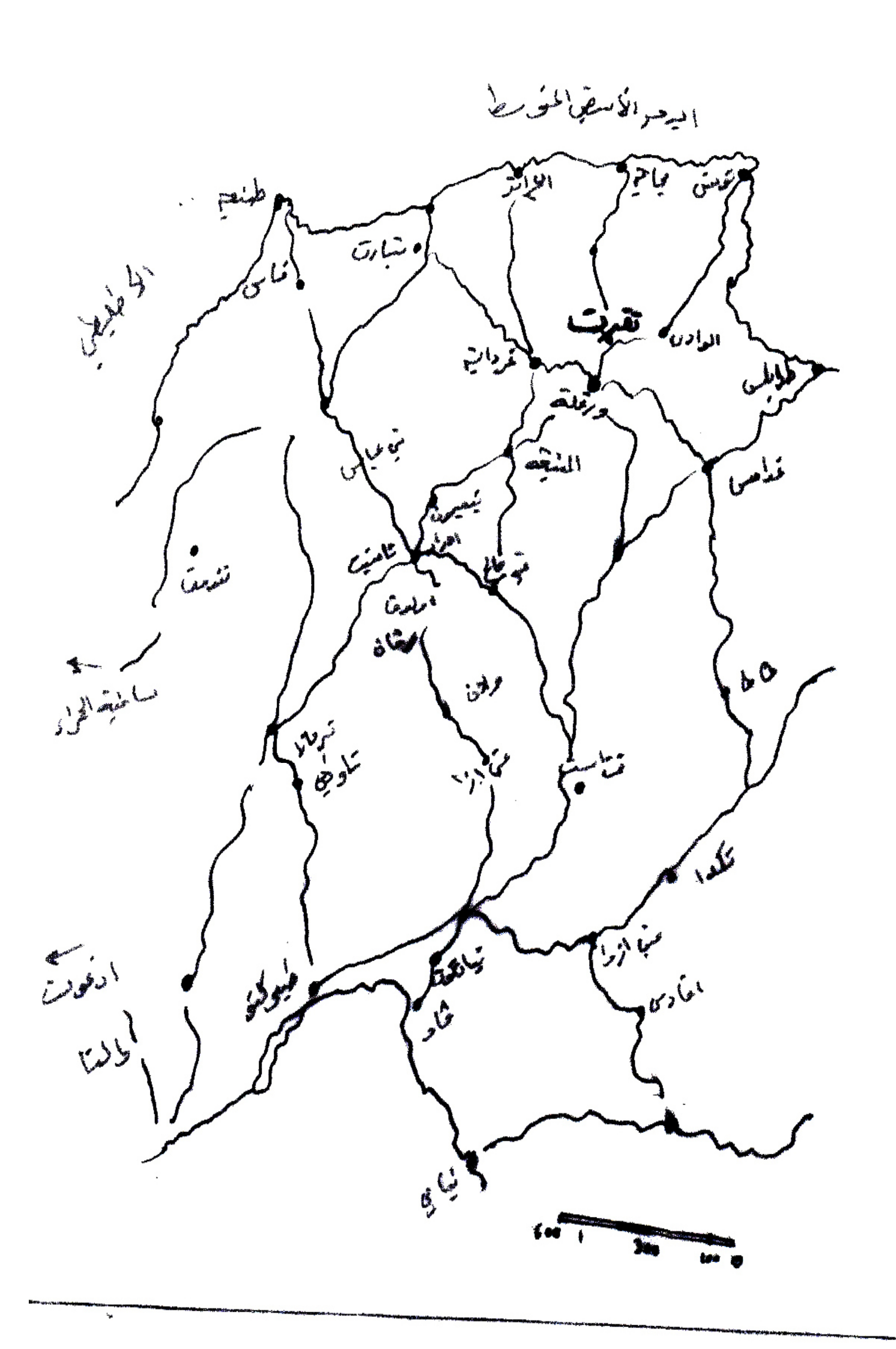
خريطة رقم :



خريطة 3: أهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والأسواق التونسية (الزبيري)



خريطة 1: طريق الحج الذي اتبعه العياشي (عن بلحميسي)



خريطة 5: الطرق التجارية باتجاه بلد السودان (عن لتيليو)

الهوامش:

(1) مزهودي (مسعود)، الإباضية في المغرب الأوسط، غرداية، 1996، ص 131.

أنظر أيضا: شنيتي (محمد البشير)، التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، مجلة الأصالة، عدد خاص ،41 الجزائر، 1977، ص 18.

(2) Baudicou (L), la guerre et le gouvernement de l'Algérie, paris 1853, p58.

(3) Romey (A), Histoire topongmée et traduction orale d'une oasis arabo-Berber , Ngoussa, 1973 -74 , C.E.M, Paris, p32.

(4) Hoefer (F), Algérie états tripolitains, paris 1850, p 79.

(5) من بين القبائل العربية التي كانت مستقرة بالمنطقة، الفتايت، وأولاد مولات، والسعيد، وأولاد سيدي عبد الله، وأولاد صاقور السلمية، أولاد رحمان.

أنظر: سعيدوني (ناصر الدين)، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، العدد 41، الجزائر، 1977 ص 74 – 75.

(6) Rivillois (M.B), Le pays d'Ouargla, Sahara Algérien, Paris, 1975, PP 22-23

(7) Mauroy (M), du commerce de peuples de l'Afrique septentrionale, Paris, 1845, P 63

(8) Ibid, P 63

(9) Dévise (j), Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la

Méditerranée, R.H.E.S , Paris 1972 , PP 42 ,73.

(10) إن التجارة عبر الصحراء وربطها بالبحر قديمة قدم الزمان بحيث تعود إلى سنة 1000م وتستمر حتى القرن 16م. أنظر: Ibid, PP 42-73

(11) أشار حسن الوزان في حديثه عن تقرت إلى قلة القمح بمنطقة وادي ريغ وجلبه من قسنطينة مقابل التمر للمزيد من المعلومات: أنظر الوزان (حسن بن محمد)، وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي، ج 1، ط 2، بيروت، 1983 ص 135.

(12) Behaghel (A), l'Algérie , Alger, 1865, p 295

أنظر أيضا:

Berbrugger (A), Projet D'exploration des l'oasis Algérienne, Alger, S.D, P 03

(13) Bisson (J), les nomades des départements sahariens en 1959, T.I.R.S, T XXI, 1er Semester, Alger, 1962, pp 200-204.

(14) Carette (E), de commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états Barbaresques, paris, 1844, p 208.

(15) Pevennes (J.J), Structures agraires et colonisation les oasis de l oued rhir paris1961 P 208

(16) Ibid, P 208

(17) Bruno (V), Touggourt et Ouargla deux Fonctions Urbaines, T.I.R.S, T XIX, 1er et 2er Semestre, Alger 1960, PP 195 - 198

([18]) العياشي (أبو سليم عبد الله)، ماء الموائد، طبعة فاس، 1898، ص 49.

(19) Jus(H) , l'oasis del oued rir en 1856/1883 ,paris,1884, p66

(20) Emerit (M), les liaisons terrestres entre le soudan et l'Afrique du Nord au XVII et début XIX Siècle T. I.R.S, T XI, Alger 1954, p39.

(21) Pevennes (J.J), Structures …,P 22

(22) Daumas (C), le Sahara algerien ,paris ,1845, P 188

([23]) الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين1798–1830م ، ط II، الجزائر 1984، ص 109–112.

(24) Mauroy (M), Du Commerce des peuples… , P 62

([25]) المقصود ببلاد السودان أقطار مالي والنيجر، وشمال نيجيريا.

(26) Dévise (j), Routes de commerce …, pp 42-73

([27]) هي عاصمة بلاد الجديد التي تضم كل من توزر، الوديان، والحامة.

([28]) من أكبر الأسواق التونسية الجنوبية كان سكانها في تنافس تجاري يستمر مع سكان وادي سوف.

([29]) مدينة صغيرة وسط سهول خصبة تبتعد عن بسكرة بعشرين ميل يتم الوصول إليها عن طريق سيدي عقبة وعين الناقة

أنظر: الزبيري (محمد العربي) ، نفس المرجع، ص 109 – 145.

([30]) المرجع السابق، ص 156.

(31) Behaghel (A), L'Algérie …, P 297.

أنظر أيضا الزبيري (محمد العربي)، نفس المرجع، ص 159.

([32]) ارتبط استقرار بني جلاب بالمنطقة وتسلمهم مقاليد الحكم بوادي ريغ بمرورهم السنوي باتجاه الحج وقيامهم بعملية التجارة مع السكان المحليين.

أنظر الزبيري (محمد العربي)، نفس المرجع، ص 159.

([33]) تقعان جنوب المغرب الأقصى أنظر:

Emerit (M), Les liaisons ..., p 41

([34]) الطفل نوع من التربة الطينية يستعمل للغسل كالصابون أنظر:

Behaghel (A), L'Algérie…, p298

([35]) الأصطخري (إبراهيم)، مسالك الممالك ،مطبعة بريل الجزائر،

1967 Emerit (M), Les liaisons …, p 41

(36) Pottier (R), Histoire de sahara , paris, 1947 , PP 124-125

(37) Carette (E), du commerce de L'Algérie…, P 26

(38) Pevennes (J.J), Structures …, P 12

([39]) لومبار (موريس)، الإسلام في مجده الأول (القرن 8–11م/ 2–5هـ)، ترجمة إسماعيل العربي، الجزائر، 1979، ص 164

([40]) توجد في أعالي النيجر. انظر المرجع السابق، ص 164 – 165.

([41]) توجد شرق نهر النيجر. انظر المرجع السابق، ص 164 – 165.

([42]) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة أبريل، **1836**، ص **86**. أنظر أيضا:
Pevennes (J.J), Structures..., P13

[(43)] Henri (M), L'histoire des hommes, les civilisations de l'Afrique, Italie, 1987, p20

أنظر أيضا البكري، المسالك والممالك، ج **2**،ص**874**

([44]) هي سوق التوارق، تقع في أقصى الجنوب الليبيي على بعد عشرين يوم من غدامس وأربعين يوم عن عين صالح، وتكمن أهميتها التجارية في كونها مركزاً لتجمع التجار من مختلف أنحاء إفريقيا أنظر: الزبيري (محمد العربي)، نفس المرجع، ص **13**.

([45]) كانو : مدينة ببلاد السودان (نيجريا حالياً) ومركز تجاري هام. أنظر المرجع السابق، ص **20**.

([46]) هي فاكهة مالحة تزن الواحدة حوالي عشر غرامات يستعملها الأفارقة بمثابة القهوة أنظر: الزبيري (محمد العربي)، المرجع السابق، ص **169**.

[(47)] Behaghel (A), l'Algérie..., P 299

أنظر أيضا: الزبيري (محمد العربي)، نفس المرجع، ص **165–170**.

([48]) المرجع السابق، ص **168**.

([49]) لومبار (موريس)، نفس المرجع، ص **94**.

([50]) سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني،الجزائر، **1985**، ص**236**.

([51]) العياشي (أبو سليم عبد الله)، نفس المصدر، ص **46–48**.

([52]) للمزيد من المعلومات أنظر: سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات ...، ص **238**.